تمهيد

تختلف الروايات حول أصل الأتراك العثمانيين ، وإن كان العديد من المؤرخين يرجع نسبهم إلى إحدى قبائل "غز الخزر" وهى قبيلة "قابى خان(١)" التى كان يتولى أمورها سليمان شاه وكان موطنها الأصلى أواسط آسيا ثم نزحت تحت الضغط المغولى صوب آسيا الصغرى والأناضول فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى . وخلال ذلك توفى "سليمان شاه" ، وتولى ادارة هذه القبيلة ابنه "أرطغرل" . وفى أثناء تنقل هذه القبيلة بحثاعن المأوى ومصادر العيش شاهدت جيشين يقتتلان ، وأدركت ان أحد هذين الجيشين ليس ندا للآخر فانضمت القبيلة إلى جانب الجيش الضعيف الذى كاد يلقى هزيمة مروعة – من جانب باب النجدة – وكان انضمامها إليه سببا فى انتصاره . وبعد المعركة تبين أن هذه القبيلة تدخلت لنصرة بنى جلدتها وهم الأتراك السلاجقة الذين كانوا يحاربون تحت قيادة سلطانهم علاء الدين ، وأنهم كانوا يحاربون إحدى الفرق المغولية التى أوكل إليها استكمال فتح آسيا الصغرى(٢) . ونتيجة لذلك استجاب السلطان علاء الدين لطلب "أرطغرل" بأن يمنح قبيلته مكانا تستطيع العيش والاستقرار فيه(٣) ، فأمر باقطاعه عدة أقاليم ومدنا ، وصار يعتمد عليه فى حروبه . وكان يقطعه أراضى جديدة عقب كل انتصار يتمكن من تحقيقه ويمنحه أموالا جزيلة . يضاف إلى ذلك أنه لقب قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائما فى مقدمة جيوشه . وظل "أرطغرل" فى خدمة السلطان علاء الدين إلى أن توفى فى عام ٦٨٧هـ الموافق ١٢٨٨م فعين علاء الدين أكبر أولاد أرطغرل مكانه وهو عثمان مؤسس الدولة العثمانية(٤) .

---

١ – عبد السلام فهمى : السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١ ص ١١ .

٢ – عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ص ٣٣–٣٤ .

٣– Edward , S. Creasy : History of the ottoman Turks , Beirut, 1968 , P. 2-4 .

٤– محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية – تحقيق إحسان حقى ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ/١٩٨١م ص ١١٥–١١٦ .

وقد نهج عثمان نهج والده فى الجهاد حيث استولى على قلعة "توجه حصار" التى كانت تابعة للروم وذلك فى عام ١٢٨٩م ، وقد كافأه السلطان علاء الدين على ذلك بأن سمح له بضرب "السكة" باسمه ، وأمر بأن يذكر اسم عثمان بجانب اسمه فى خطبة الجمعة ، ومنحه كل الأراضى التى تم له فتحها ، وكذلك الأراضى التى سيتمكن من فتحها بعد ذلك مما تسبب فى ذيوع صيت عثمان . ولعل السبب الذى دفع السلطان علاء الدين إلى ذلك هو أنه أراد أن يجعل من عثمان وقبيلته قوة للدولة السلجوقية التى بدأ الضعف يتسرب إليها .

وبعد سقوط دولة سلاجقة الروم على يد المغول فى عام ٦٩٩هـ ، ووفاة السلطان علاء الدين انفتح المجال أمام "عثمان بن أرطغرل" الذى استقل بما تحت يده من بلاد ، واتخذ من مدينة "ينى شهر" عاصمة له ودعا نفسه "باد شاه عثمان(١)" أى سلطان العثمانيين.

وهكذا بدأت الدولة العثمانية على يديه ، واعتنق العثمانيون فى عهده الإسلام ، وأصبح عقيدتهم الدينية الرسمية ، وبعد وفاة عثمان فى عام ١٣٢٦م واصل ابنه أورخان، ومن جاء بعده السير على سياسته ، واستطاع العثمانيون أن يملأوا التاريخ أحداثا ، ومرت عليهم مظاهر عديدة من الحضارات ، وأصبحت امبراطوريتهم مترامية الأطراف حيث امتدت أقاليمها وولاياتها فى آسيا ، وأوربا وافريقية ، وأصبحت أكبر دولة إسلامية يشهدها التاريخ فكانت حدودها تمتد شمالا إلى بلاد المجر فى أوربا وتشمل أراضيها كلا من بلاد اليونان والبوسنة والهرسك والجبل الأسود وألبانيا وبلغاريا والمجر والبغدان ، وتمتد شرقا من حدود ولاية جورجيا إلى حدود داغستان وما يلى ذلك من الشرق والجنوب والغرب أرمنيا والأناضول وما بين النهرين وبلاد العرب وسورية ومصر والسودان وبرقة وطرابلس وتونس .

وفى تاريخ الدولة العثمانية الكثير من الدروس سواء أكان ذلك فى مجال الحرب أو فى مجال السلم . لقد توالى على عرش الدولة العثمانية ستة وثلاثون سلطانا كان منهم

١- تم الرجوع إلى : محمد الطائى ، تحرير ... ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، ص ١ - ٢٢

من لا يأتى الدهر بمثلهم إلا على فترات من الزمن ، وكان منهم بين بين ، كما كان منهم من لا يصلح مطلقا لتولى هذا المنصب الخطير الذى وصل إليه عن طريق الوراثة مما ساعد على هدم هذه الدولة ودك أركانها .

وسيلاحظ القارئ لهذا الكتاب انه يحوى العديد من البحوث والدراسات العلمية لبعض القضايا والمشكلات التى لازمت تاريخ الدولة العثمانية ليس خلال فترة قوتها فحسب بل وخلال فترات ضعفها أيضا .

فقد شملت هذه الدراسة موضوعات متعددة بدأت بفتح القسطنطينية على يد محمد الثانى فى عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م وتطرقت إلى موقف الدولة العثمانية من سقوط الأندلس .

وإلى الانكشارية ودورهم فى الفتوحات التى قامت بها الدولة حتى تم القضاء عليهم بعد أن دب الضعف والفساد فى نظامهم . كما تطرقت إلى الفتح العثمانى للعالم العربى والحركات الانفصالية ضد الدولة العثمانية ، وتناولت السلطان عبد الحميد الثانى ودعوته إلى فكرة الجامعة الإسلامية حتى تم اسقاطه واستيلاء جماعة الاتحاد والترقى على الحكم ثم قيام الحرب العالمية الأولى .

وتأتى البحوث إلى نهايتها مع دراسة نقدية بعنوان "الدولة العثمانية ما لها وما عليها" أوضحنا فيها المناقب والمآخذ التى أخذت على العثمانيين بشكل يتمشى مع منهاج البحث التاريخى .

والله ولى التوفيق ..

أ. د. عبد المنعم الجميعى
القاهرة – مدينة المهندسين
أغسطس ١٩٩٥